

السينما انفصلت عن الأدب ثم عادت إليه بشكل آخر

كتاب يبحث في ظاهرة الاقتباس السينمائي عن الأدب في السينما المصرية



السينما والأدب تكاملا قبل أن يتخالفا

لتوفيق الحكيم وفيلم توفيق صالح، ويتأمل تصور مؤسسات القانون الحديثة بعيون مؤسسة السينما المعاصرة لتلك الحداثة.

ويركز القسم الثاني على جانب الانتقال العابر للثقافات في الاقتباس، حين يتضاعف تحول الدلالة بسبب الانتقال من الوسيط الطباعي للرواية إلى الوسيط السمعي البصري للفيلم، ويضاف إليه تحول ثقافي حين تنقل الرواية من سياق عربي إلى آخر عربي مصري، حيث تحلل رائدة صبري الأبعاد السياسية والثقافية لتحول رواية الكسندر دوما "الكونت دي مونت كريستو" إلى فيلم "أمير الانتقام" لبركات. ويقدم عصام زكريا مقارنة بين اقتباس شكسبير ورائعته "الملك لير" تحديدا في السينما الغربية وفي السينما المصرية حيث يغيب البعد السياسي تماما عن شاشة السينما المصرية.

ويختتم الكتاب قسما ثالثا يدور حول اقتباس السينما والتلفزيون لروايات نجيب محفوظ حيث تناولت روايات قرارة لاقتصاديات الإنتاج التلفزيوني ودوره في تنشيط صناعة الكتاب، من خلال تحليلها لاقتباس "أفراح القبة" في مسلسل تلفزيوني من منظور اقتصادي، أما أماني صالح فقدم تحليلا متصل الزمان والمكان وتبدل دلالاته السياسية والاجتماعية في نقد خطاب الانفتاح الاقتصادي عبر قراءة دقيقة لقصة أهل القبة واقتباسها في فيلم علي بدرخان بالعنوان نفسه.

وتدور الأبحاث التي ضمها الكتاب حول ثلاثة محاور، أولا اقتباس النوع بوصفه عملية انتقال لقيم الحداثة وإشكالياتها من خلال أعمال "زينب" و"البؤساء" و"الباب المفتوح" و"يوميات نائب في الأرياف". ثانيا الاقتباس باعتباره عملية انتقال ثقافي وما تستلزمه من مواصفات زمانية ومكانية في أعمال "أمير الانتقام"، و"نهر الحب"، و"جنة الشياطين" وفي اقتباسات "الملك لير". ثالثا أعمال نجيب محفوظ بوصفها نموذجا استثنائيا لحركة ذهاب وإياب مكثفة بين الوسائط الفنية، ويتم استحضارها من خلال اقتباس "أفراح القبة"، و"أهل القبة".

ويضمن القسم الأول من الكتاب أربع دراسات تحلل ارتباط الاقتباس بقيم الحداثة والعبور بين الأنواع الفنية. تحلل سلمى مبارك عناصر نوع حكاية الريف وملامحه الفنية في فجر تاريخ كل من الأدب والسينما في مصر، أما وليد الخشاب فيرسم ملامح تصوير الورشة والمصنع في السينما بتأثير التصوير لبدائيات الحداثة. وتقدم هالة كمال استعراضا لملامح المرأة وتحريها صاحب التحضر الوطني، من زاوية الدراسات النسوية السينمائية في كل من رواية "الباب المفتوح" لطيفة الزيات وفيلم بركات المقتبس عنها، ويخصص جان لوقا بارولين دراسته لنوع التحقيق البوليسي بين الأدب والسينما في كل من رواية "يوميات نائب في الأرياف"

السائدة ويصبح مخرجا مؤلغا هي رفض المصادر الأدبية. ومن ناحية أخرى فإن الكتابة المتمردة التي يمكن أن تمر دون مشكلات رقابية كبيرة في الأدب، مثل تحديات عديدة لأي مخرج يسعى لاقتباس أعمال الرواية الجديدة، وعلى الرغم من ذلك سعى بعض المخرجين الذين أغرتهم التجربة للجوء إلى هذا الأدب الجديد، مثل خيري بشارة الذي اقتبس رواية "الطوق والأسورة" ليحيي الطاهر عبد الهلبي عام 1986، بعد محاولة أولى عام 1973 حين رفضها المنتجون بسبب ما رآه فيها من أجواء مظلمة وكئيبة، وكذلك فعل داوود عبد السيد الذي اقتبس "مالك الحزين" 1991 لإبراهيم أصلان.

الاتصال والانفصال

يضيف المؤلفان "استمرت علاقات الاتصال/ الانفصال بين السينما والأدب على مدار مختلف الحقب الزمنية في تحولاتها مع بداية الألفية الثالثة، وقد شهد القرن الحادي والعشرين جددا في طبيعة العلاقة بين الفنون، ارتبط بتشكيل مشهد أدبي جديد حول أعمال الأكثر مبيعا، فبدأ وكان حركة الاقتباس السينمائي غدت تسعى لاستثمار هذا السراج الأدبي لخلق ظاهرة لازلت في طور التشكل، تظهر ما يشبه التنافس بين الأدب والسينما لايجاد متلق جديد، في تحول يؤسس لرؤى متكافئة بين الفنون تتجاوز تاريخا طويلا من التراتبية التي بادت بينهما".

كتابة إلى مادة الصورة، لهذا فالقائمون بالاقتباس السينمائي عن الأدب الغربي مترجمون ثقافيون حقيقيون. ويرى كل من مبارك والخشاب أنه "على حين تراجع الأدب الغربي كمصدر للأفلام المصرية منذ 1952، احتل الأدب العربي هذا الفراغ بمنطق أن اقتراب السينما من الواقعية يزداد مع تزايد اعتمادها على الأدب الوطني بدلا عن الأدب الأجنبي، وكذلك تزداد القيمة الفنية والثقافية لتلك الأعمال المكتسبة نظرا إلى واقعيتها، ومن ثم أصبحت الرواية المصرية هي المنافس الأول للرواية الغربية في سوق إنتاج السينما المأخوذ عن الأدب، ومع تثبيت الواقعية أقدامها كمعيار فني وسياسي وأخلاقي أعلى، تزايد اتجاه السينما إلى تقديم الأفلام في إطار الصيغة الفنية منذ الخمسينيات فصاعدا".

ويشيران إلى أنه "في السبعينات والثمانينات ظهرت أجيال جديدة من الأدباء والسينمائيين الثائرين على تقاليد الكتابة وقيد السوق والمنفتحين على التجريب، في هذه الأجواء بزغت الكتابة الجديدة بالتوازي مع ظهور سينما المؤلف التي أولت ظهرها للأدب، وسعت لتدعيم مفهوم السينما كفن مستقل".

ويذكران أنه "كانت البداية مع هزيمة 1967 التي أصابت جيلا كاملا بصدمة انعكست على الأدب وتبدت في ترنج النموذج الواقعي. تخلى جيل جديد من الكتاب عن الخطاب السائد للواقعية؛ بهاء طاهر، جمال الغيطاني، صنع الله إبراهيم، إبراهيم أصلان، وكذلك الجيل الأكبر بما فيه نجيب محفوظ مع نشر مجموعته القصصية "تحت المظلة" 1967، سعى هؤلاء المؤلفون للتحرر من القوالب المهيمنة وللاستقلال عن النماذج السائدة في الكتابة والفكر، فولدت معهم حداثة جديدة ترفض مفهوم المحاكاة وتمثيل الواقع، في مقابل الإبحار في الخيال والغوص في الأنا وتطوير أشكال جديدة للكتابة، ومن هنا تبنت الرواية أساليب جديدة في الكتابة مثل مصاحبة البطل المونولوج الداخلي وتيار الوعي، واستخدام التقنيات السينمائية وتفكيك البنية السردية الخطية، وتحطيم مفهوم الحدث ومراوغة القارئ".

ويرى الباحثان أنه بحلول عام 1980 لم تعد السينما بشكل عام خاضعة للأدب سواء كان مصرية أو أجنبية، ورافق هذه الظاهرة صعود خطاب حول السينما الواقعية بوصفها انخراطا مباشرا في الواقع دون وساطة الأدب، خاصة أن السينما التجارية في السبعينات كانت قد استمرت في الاعتماد على الأدب ككثافة، فكانت إحدى الوسائل المتاحة للمخرج لكي ينأى بنفسه عن الاتجاهات الفنية

في منطقة القبائل إلى ما تلاها من تنقلها إلى العاصمة المتنوعة الأعراق. وتتساطر شعلال في أول محاولة أدبية لها بعنوان "وهم الهوية" قراءها تصورهما الخاص بـ"الهوية" مظلمة عاشتها وبإحساس بمثابة تراكم لعدة أمور كالتربية والمطالعة والتجارب الشخصية التي تبلور من خلالها تصورا ثقافيا للهوية.

ويتناول هذا الكتاب على امتداد 123 صفحة من إصدار دار النشر "Medias Index" نمط معيشة المؤلف في طفولتها في منطقة القبائل مسقط رأسها، ونهاياها للإقامة في العاصمة الجزائر التي تتميز "بمزيج من الإرث الثقافي ونمط معيشي وطريقة تفكير وارد من جميع أنحاء الوطن".

وتروي الكاتبة تجربتها في المدرسة وتساؤلاتها حول استعمال وتعلم اللغة الأمازيغية وعلاقتها بـ"الأخر" الذي أضحت "منافسا" يغذي في فكر التلميذة مقدمة صورة قائمة حول الثقافة واللغة والفكر العربي.

وقد أوضحت الكاتبة أن هذا الإحساس بالرفض تحول بسرعة إلى شعور بالانتماء عندما اكتشفت "الدعم الكبير الذي قدمته الحضارة الإسلامية للنهضة الأوروبية".

وانطلاقا من هذا الاكتشاف، تحدثت الكاتبة عن "مصالحة مع

ارتبط تاريخ السينما المصرية منذ ولادتها بعلاقات قوية مع فن الرواية، حيث انعكست تجليات كل منهما الجمالية والفنية على ثراء رؤى وأفكار وتقنيات الآخر، وقد نتج عن هذه العلاقة ما شهدته مصر من تطور في كلا الفنين، وهو الأمر الذي امتد تأثيره وتفاعله على ولادة الفنون في العديد من الدول العربية.

الوسيطين وتحديدا من المحطات الكبرى للقائما، والتأسيس لرؤية التجاور بين الفنون ورسد حركة تفاعلها منذ الفوران الأول الذي صاحب بدايات تيار الحداثة، وجاء ذلك انطلاقا ولادة فن الرواية في الأدب العربي بمعناه الحديث.

ويقول المؤلفان "ولد فن الرواية ما بين نهاية القرن التاسع وبدايات القرن العشرين، في هذه المرحلة وبالتحديد عام 1896 أقيم العرض الأول لسينماتوغراف الأيوين لومبير بالإسكندرية، بينما تم نشر رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل 1913 التي تعد من منظور الكثرين في الرواية المصرية الحديثة الأولى، قبل عشر سنوات من عرض أول مصري لفيلم روائي قصير من إخراجة وتصويره وإنتاجه برسوم يبحث عن وظيفة سنة 1923 لمحمد بيومي".

ويعد الكتاب الذي صدر أخيرا عن دار المرابا بالقاهرة وضم اثني عشر فصلا تتوجها لمسيرة طويلة من العمل المشترك بين مبارك والخشاب اللذين قاما بجمعه وتحريره والمشاركة فيه، وهو نتاج تطوير لمجموعة من الأبحاث التي قدمت باللغتين العربية والفرنسية إلى المؤتمر الدولي الأول من تنظيم شبكة أمون للباحثين في الأدب والسينما بجامعة القاهرة، والذي أقيم في نوفمبر 2019. وشكل أول فاعلية أكاديمية من هذا النوع تتخذ من السينما موضوعا رئيسيا.

ويشير المؤلفان في مقدمتهما التي شكلت مدخلا مهما وكاشفا للأبحاث التي ضمها الكتاب لباحثين ونقاد متخصصين من مختلف الاتجاهات، إلى أن الاقتباس بدأ في بدايات القرن الماضي كنموذج من نماذج نقل الحداثة التي اعتمدها العالم العربي، فهو وسط بين الترجمة والتأليف الأصيل على منوال المؤلفات الغربية.

ويتابعان أن الاقتباس بوصفه ترجمة ثقافية يعد ظاهرة مركبة، من ناحية، يتضمن اقتباس مسرحية أو رواية فرنسية عملية ترجمة معقدة، حيث يتم نقل الأسماء والأطر الاجتماعية والتاريخية والجغرافية إلى البيئة المصرية. ومن ناحية أخرى تسلط عملية الاقتباس الثقافي/ الترجمة الضوء على القيم الجديدة أو المستوردة من الغرب، حيث تقوم الوسائط المرئية والمسموعة بوظيفة تتجاوز وظيفة الوسيط الذي ينقل منتجا ثقافيا من خلال تحويله من مادة

محمد الحماصي
كاتب مصري

يتناول كتاب "الاقتباس من الأدب إلى السينما" للناقد سلمى مبارك ووليد الخشاب العلاقات المتشابكة بين السينما المصرية والأدب التي اقتبست منها أهم أعمالها، حيث لعب اقتباس الأدب دورا هاما في توسيع قاعدتها مع إنتاج ما يقرب من 360 فيلما مستمدا من الأدب العربي والغربي ما بين عامي 1930 و2019.



الكتاب يدرس ظاهرة الاقتباس في تاريخ الأدب والسينما في مصر بهدف رسم معالم الطريق الذي جمع بين الوسيطين

وقد بنى الكتاب إطاره النظري على الندية بين الأدب والسينما، ورفض اعتبار أحد الوسيطين أكثر أهمية أو قيمة جمالية، واشتغل بالتفاعلات والعلاقات الدينامية بين الفنون، مقرا بتعايشهما وبالتأثير المتبادل بينهما منذ فوران بدايات الحداثة المصرية.

ظاهرة الاقتباس

يدرس الكتاب ظاهرة الاقتباس في تاريخ الأدب والسينما في مصر بهدف رسم معالم الطريق الذي جمع بين

«وهم الهوية» كتاب يتوسل بالثقافة والمطالعة لتصحيح الهوية الجزائرية

مع تنوع الثقافات والحضارات التي كان لها لقاء بها في مختلف الدورات التاريخية.

ويرى الجزائريون أن الاهتمام بالثقافة الأمازيغية من شأنه أن يجمع كل الجزائريين وينبذ كل أشكال التفرقة ويقوي اللحمة المجتمعية ويساهم في تعزيز الوحدة الوطنية ويحقق التنوع ويمثله ما يساهم في نسج اجتماعي متماسك تقوده ثقافة الاختلاف علاوة على ترسيخ الهوية كمعطى متعدد لا أحادي.

وعلى غرار الكثير من المثقفين الجزائريين، نقر الكاتبة بان المقوم الرئيسي للهوية الجزائرية سيبقى دوما عنصرا مشتركا يعني كل الجزائريين مختلف مسارهم ولذلك يستوجب أن يأخذ حيزا من الاهتمام الإضافي على جميع المستويات والأصعدة، وإن كانت تركز على الدور المحوري للثقافة والتعليم في هذا المستوى.

ويذكر أن ملكة شعلال درست مادة العلوم الفيزيائية في الطور الثانوي قبل أن تزاول مهنة الكتابة والتأليف. وبعد تجربة عمرها سبع سنوات في مجال الإصدارات غير الأدبية ها هي اليوم تنشر كتابها "وهم الهوية".

دراسة علمية ناضجة في ظل مناخ خال من التوترات والحسابات السياسية إلى يومنا هذا، وبسبب هذا فقد بقيت هذه القضية أشبه بالغم الذي يثير المخاوف، وينذر بالتصاعدات، وينشوب صدامات إثنية قد تؤدي جميعا إلى انزلاقات خطيرة تخلخل استقرار البلاد

الهش وتحول نزعة الانفصال إلى تقطيع للأوصال. وهو ما يحاول الأدباء والمثقفون والفنانون التصدي له من خلال قصص متان يرسخ مسألة التنوع الهوي.

ويرى كتاب من أمثال أزراج عمر أنه من المفروض أن تشهد قضية الهوية الأمازيغية حوارا وطنيا علميا يقوده ويتصدره المفكرون والأنثروبولوجيون وعلماء

اللسانيات وفقه اللغات ودارسو ونقاد الثقافة والمؤرخون وفلاسفة التاريخ، وذلك بهدف تحقيق غاية أساسية، وهي التمييز أولا بين المنظور التاريخي والثقافي والحضاري للهوية بما في ذلك عناصرها التي تنتمي إلى الأبعاد اللغوية والثقافية والسياسية، وبين المنظور العرقي الذي يحصر مكون الهوية في بعد واحد، وهو البعد السلالي الدموي، ومن ثم الشروع، ثانيا، في دراسة خصائص فرادة هذه الهوية دون طمس أو إهمال أو إنكار تناصها

الثقافة العربية" وامتلاكها "ثقافة مزوجة".

وضمن بلورة "تصورها للهوية" تحدثت الكاتبة عن أحداث حاسمة مثل حرب لبنان والاطلاع على القضية الفلسطينية وتصاعد العنف في منطقة الشرق الأوسط.

وعقب العشرية السوداء وانعكاساتها، تحدثت شعلال عن قدوم وسيلة الإعلام الآلي والإنترنت الذي دفعها إلى مراجعة بعض قناعاتها بمجرد زوال الحواجز الجغرافية والثقافية واللغوية مرة واحدة.

ملكة شعلال تؤكد على ضرورة الحوار داخل البلد الواحد وبين البلدان والحضارات والديانات لتحقيق تكامل الهويات

كما استرجعت الكاتبة الأحداث الكبرى التي هزت العالم العربي منذ 2011 على غرار سقوط عدة أنظمة واستفحال ظاهرة الإرهاب حيث أكدت على ضرورة الحوار داخل البلد الواحد وبين البلدان والحضارات والديانات. وتبقى قضية الهوية الأمازيغية محورا شائكا في الجزائر إذ لم تدرس

الذين يتصدون لهذه القضايا محاولين تكريس التنوع والتكامل نبذا للتفرقة والتقسيمات والرؤى المغلوطة خاصة للتاريخ المشترك بين العرب والأمازيغ، هذه الرؤى قادت الكاتبة الجزائرية ملكة شعلال إلى تبيين قصور نظرتها إلى الصدام بين الثقافتين العربية والأمازيغية في الجزائر منذ وقت مبكر، تنقر بيان الهوية تكامل وتعيد تعديل نظرتها منطلقة من طفولتها

الجزائر - قطعت بلدان شمال أفريقيا شوطا هاما وإن كان شكليا في الاعتراف بالحقوق الثقافية للأمازيغ، لكن الطريق مازال طويلا وشائكا للوصول إلى جو مطمئن فيه النفوس لتسمح بتواصل العقول وضمان وحدة المجتمع وترسيخ الأخوة بين مختلف مكوناته وتحقيق هوية متكاملة.

وتبقى قضية الهوية على رأس اهتمامات المثقفين والكتاب والمفكرين

الذين يتصدون لهذه القضايا محاولين تكريس التنوع والتكامل نبذا للتفرقة والتقسيمات والرؤى المغلوطة خاصة للتاريخ المشترك بين العرب والأمازيغ، هذه الرؤى قادت الكاتبة الجزائرية ملكة شعلال إلى تبيين قصور نظرتها إلى الصدام بين الثقافتين العربية والأمازيغية في الجزائر منذ وقت مبكر، تنقر بيان الهوية تكامل وتعيد تعديل نظرتها منطلقة من طفولتها

الذين يتصدون لهذه القضايا محاولين تكريس التنوع والتكامل نبذا للتفرقة والتقسيمات والرؤى المغلوطة خاصة للتاريخ المشترك بين العرب والأمازيغ، هذه الرؤى قادت الكاتبة الجزائرية ملكة شعلال إلى تبيين قصور نظرتها إلى الصدام بين الثقافتين العربية والأمازيغية في الجزائر منذ وقت مبكر، تنقر بيان الهوية تكامل وتعيد تعديل نظرتها منطلقة من طفولتها

الذين يتصدون لهذه القضايا محاولين تكريس التنوع والتكامل نبذا للتفرقة والتقسيمات والرؤى المغلوطة خاصة للتاريخ المشترك بين العرب والأمازيغ، هذه الرؤى قادت الكاتبة الجزائرية ملكة شعلال إلى تبيين قصور نظرتها إلى الصدام بين الثقافتين العربية والأمازيغية في الجزائر منذ وقت مبكر، تنقر بيان الهوية تكامل وتعيد تعديل نظرتها منطلقة من طفولتها

الذين يتصدون لهذه القضايا محاولين تكريس التنوع والتكامل نبذا للتفرقة والتقسيمات والرؤى المغلوطة خاصة للتاريخ المشترك بين العرب والأمازيغ، هذه الرؤى قادت الكاتبة الجزائرية ملكة شعلال إلى تبيين قصور نظرتها إلى الصدام بين الثقافتين العربية والأمازيغية في الجزائر منذ وقت مبكر، تنقر بيان الهوية تكامل وتعيد تعديل نظرتها منطلقة من طفولتها

الذين يتصدون لهذه القضايا محاولين تكريس التنوع والتكامل نبذا للتفرقة والتقسيمات والرؤى المغلوطة خاصة للتاريخ المشترك بين العرب والأمازيغ، هذه الرؤى قادت الكاتبة الجزائرية ملكة شعلال إلى تبيين قصور نظرتها إلى الصدام بين الثقافتين العربية والأمازيغية في الجزائر منذ وقت مبكر، تنقر بيان الهوية تكامل وتعيد تعديل نظرتها منطلقة من طفولتها

الذين يتصدون لهذه القضايا محاولين تكريس التنوع والتكامل نبذا للتفرقة والتقسيمات والرؤى المغلوطة خاصة للتاريخ المشترك بين العرب والأمازيغ، هذه الرؤى قادت الكاتبة الجزائرية ملكة شعلال إلى تبيين قصور نظرتها إلى الصدام بين الثقافتين العربية والأمازيغية في الجزائر منذ وقت مبكر، تنقر بيان الهوية تكامل وتعيد تعديل نظرتها منطلقة من طفولتها

الذين يتصدون لهذه القضايا محاولين تكريس التنوع والتكامل نبذا للتفرقة والتقسيمات والرؤى المغلوطة خاصة للتاريخ المشترك بين العرب والأمازيغ، هذه الرؤى قادت الكاتبة الجزائرية ملكة شعلال إلى تبيين قصور نظرتها إلى الصدام بين الثقافتين العربية والأمازيغية في الجزائر منذ وقت مبكر، تنقر بيان الهوية تكامل وتعيد تعديل نظرتها منطلقة من طفولتها

الهوية ليست معطى ثابتا (لوحة للفنان بوخاري زروقي)